الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر – باتنة – كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية
قسم الكتاب والسنة

جهود ابن هشام الأنصاري في التفسير

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الكتاب والسنة.

إعداد الطـــــالب :
عبد القادر شكيمة

إشراف الأستاذ الدكتور :
السعيد بوخالفة

لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبـــة	الجامعة الأصليـــة	الصفـــة
أ د – منصور كافي	أستاذ التعليم العالي	جـــامعة باتنـــة	رئيسا
د – السعيد بوخالفة	أستاذ محاضر	جـــامعة باتنـــة	مقررا
أ د – نصر سلمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة –	عضوا
د – العربي بن الشيخ	أستاذ محاضر	جـــامعة باتنـــة	عضوا

السنة الجامعية : 1431 / 1432 هـ – 2010 / 2011 م

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بسم الله الرحمن الرحيم

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

شكر وعرفان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، اللهم لك الحمد على مـــا يـــسرت ولك الحمد على ما وفقت .

بتوفيق الله سبحانه وتعالى وإعانته أنجزت هذا البحث ، فله الحمد والشكر والثناء الحـــسن في الدنيا والآخرة ، وأسأل الله عز وجل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، نافعا لي ولكل مـــن قـــرأه واطلع عليه .

ثم أسدي خالص الشكر والتقدير وفائق الاحترام إلى أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحـــث فضيلة الأستاذ الدكتور : **السعيد بوخالفة** – حفظه الله تعالى – حيث تفضل بالإشراف على هذا العمل ؛ فقد أفادني بتوجيهاته السديدة وإرشاداته القيمة ، ومنحني من وقته الثمين ؛ فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة –الموقرة– على تفضلهم بقبول مناقشة هذه المذكرة ، وعلى صبرهم في قراءتها وتكرمهم بإبداء ملاحظاتهم القيمة التي من شأنها أن تزيد البحث تنقيحا وإثراء .

والشكر موصول كذلك إلى كلية العلوم الإسلامية بباتنة ممثلة في مديرها وموظفيها على تذليلـــهم الصعاب ودفع عجلة العلم الشرعي في هذا الوطن العزيز .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الإهداء

إلى من تتدفق من قلوبهما ينابيع الرحمة والحنان ، والدي الكريمين .

إلى زوجتي العزيزة ، الصبورة العفيفة ، خلة روحي ومسرة فؤادي .

إلى ابنتي صفاء ومروة ، قرتَي عيني .

إلى أخي صحراوي ، وأختَي حسناء وحكيمة .

إلى كل من علمني ونصحني من قبل ومن بعد .

إلى كل هؤلاء

أهدي هذا العمل المتواضع .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

مـــقـــدمـــة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد :

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن وأمر بتدبره فقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: 24] ، ولما كان تدبر القرآن يتوقف على فهم معانيه ، وجب الرجوع إلى تفسيره وفهم مقاصده ، فأصبحت مادة التفسير لصيقة بكلام رب العالمين جل جلاله ، شريفة بشرفه .

وقد برزت أهمية تفسير القرآن الكريم منذ زمن النبي ﷺ مرورا بزمن الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا ، وتزداد أهميته كلما بَعُد زمن النبوة وابتعد الناس عن اللغة العربية الأصيلة ، فظهرت تفاسير كثيرة ، منها ما كتبه الأئمة في كتب خاصة كتفسير الطبري والكشاف للزمخشري وغيرهما ، ومنها ما نشروه في كتبهم المصنفة في غير علم التفسير كالفقه والأصول والنحو واللغة وغيرها . ولما كنت أبحث عن موضوع يصلح لبحث أحصل به على درجة الماجستير – إن شاء الله تعالى – نصحني أحد الطلبة – بارك الله فيه – بما نصحهم به أحد أساتذتهم بموضوع بحثي هذا ، وهو جمع ما فسره ابن هشام لآيات القرآن الكريم من كتبه ، وجعلها في مصنف خاص ، فأعجبني ذلك ، وشمرت عن ساعد الجد ، متوكلا على الله ، مستمدا يد العون منه سبحانه في خدمة هذا البحث ، فظهر كما رجوت له أن يظهر ، فلله الحمد والمنة .

1 – دوافع اختيار الموضوع وأهميته .

أ – خدمة كتاب الله تعالى التي لا يعلو عليها شيء ، والجلوس مع كلام رب العالمين الذي لا يعدله شيء ، والأخذ من مائدة القرآن العظيم وهذا لا يفضله شيء .

ب – رغبتي الشديدة في استخراج كنوز فهوم ابن هشام الأنصاري للآيات القرآنية ، خاصة وأن الرجل راسخ القدم وطويل الباع في علم اللغة والنحو .

ج – رغبتي في التعمق في علوم النحو واللغة والتفسير ، فمثل هذا الموضوع يجعلني أحقق ذلك من خلال مطالعة كتب ابن هشام المطبوعة .

د – أهمية جمع تفاسير أئمة النحو واللغة ، حتى يتعرف على منهجهم في استنباط المعاني القرآنية من كتاب الله ، ولعلها خطوة تدفع الباحثين إلى جمع بقية تفاسير الأئمة – إن شاء الله – .

هـــ – التيسير على طالب العلم في تناول الآيات التي فسرها ابن هشام ، بدلا من التنقيب عنها في

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ثنايا كتبه .

و – مساهمة متواضعة في جمع شتات بعض العلوم في مؤلف مستقل ، يسد ثغرة في المكتبة الإسلامية – إن شاء الله تعالى – وفيه إحياء للتراث الإسلامي بعمل أكاديمي .

ي – لم يتقدم – حسب ما أعلم – أحد لدراسة هذا الموضوع من قبل .

لهذه الأسباب مجتمعة وغيرها عزمت على اختيار هذا الموضوع .

2 – إشكالية البحث .

يجيب البحث على عدد من الإشكالات والتساؤلات هي :

– هل فسر ابن هشام كل الآيات القرآنية ، أم فسر بعض القرآن فقط ، وهل بالإمكان جمع هذه الآيات المفسرة من كتبه وترتيبها وخدمتها ؟ وما منهجه في ما فسره ، وما مدى أهمية تفسيره ؟

3 – منهج الدراسة .

هذا وقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي ؛ لأنه المناسب لتتبع كتب ابن هشام واستخراج المادة التفسيرية منه ، وخدمتها بتوثيق ما يلزم توثيقه من الآيات والأحاديث والشعر والمصادر وغيرها ، كما اعتمدت على المنهج التاريخي في الترجمة .

4 – الدراسات السابقة .

لم أجد – في حدود ما بحثت – موضوعا يشبه هذا الموضوع إلا ما كان مشتركا معه في جزء من جزئياته ، وهو كتاب اعتراضات ابن هشام الأنصاري على معربي القرآن للدكتورة إيمان حسين السيد .

5 – خطة البحث .

مر البحث وفق الخطة الآتية :

أولا – المقدمة : وتشمل عناصر المقدمة المعروفة .

ثانيا – القسم الأول : وهو قسم الدراسة ، ويشتمل على بابين :

– الباب الأول : ترجمة للإمام ابن هشام الأنصاري ، ويتضمن ثلاثة فصول :

– الفصل الأول : البيئة التي عاش فيها ابن هشام : وتحدثت فيه عن بيئته الطبيعية والسياسية والحياة الفكرية والدينية .

– الفصل الثاني : حياة ابن هشام الشخصية : وتحدثت فيه عن اسمه ونسبه ومولده ونشـــأته وصفاته وأخلاقه وعقيدته ومذهبه ووفاته ومكان دفنه ورثائه .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

– الفصل الثالث : حياة ابن هشام العلمية : وتحدثت فيه عن طلبه للعلم ورحـــلاته وشيـــوخه وتلاميذه ومنزلته العلمية وثناء العلماء عليه ومؤلفاته .

الباب الثاني : منهج الإمام ابن هشام في تفسيره ، ويتضمن ثلاثة فصول :

– الفصل الأول : أنواع التفاسير التي اعتمدها ابن هشام : وتحدثت فيه عن تفسيره للقرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والنحو واللغة .

– الفصل الثاني : مصادر ابن هشام في تفسيره : وتحدثت فيه عن مصادره من كتب التفسير والقراءات وكتب السنة وكتب النحو واللغة وكتب أخرى .

– الفصل الثالث : أهمية تفسير ابن هشام : وتحدثت فيه عن أهمية تفسير ابن هشام في ذكر الاختلافات بين أقوال المفسرين وموقفه منها ، وتوجيه القراءات ومناقشة الآراء التي يراها خاطئة وإزالة الغموض نحويا ولغويا ، وإيراده لبعض علوم القرآن .

القسم الثاني : قسم التفسير ، وهو لب الرسالة ، ويتضمن جمع ما أثر عن ابن هشام – رحمه الله تعالى – من تفسير لآيات القرآن الكريم وترتيبها وفق ترتيب السور في المصحف الشريف ، واضعا قبل كل تفسير الآيةَ كاملة (فعلت ذلك حتى أزيل عن القارئ تعب الرجوع إليها في موطنها من المصحف) ، وعزو الأحاديث والأبيات الشعرية وتوثيق المصادر التي اعتمدها ، وترجمة قصيرة لكل علم مذكور .

6 – الصعوبات :

لم تعترضني صعوبات تذكر إلا ما كان من نقص لعدد قليل جدا من المصادر التي لم أستطع الحصول عليها ، والتي احتجتها في دراستي لمصادر ابن هشام ، إضافة إلى بعض العراقيل التي لا يسلم منها باحث أكاديمي ، كفترات الفتور التي تمر بالباحث وتؤثر سلبا على الموضوع ، وكذا اشتغالي بالتدريس ، ومؤخرا بالإمامة التي أخذت مني بعض الوقت ، ولكني – بعون الله – بذلت جهدي في تجاوز هذه العراقيل ، فخرج البحث وأنجز الموضوع كما كان مسطرا له في المشروع ، فلله الحمد والمنة .

7 – أهم المصادر :

اعتمدت على طائفة متنوعة من المصادر والمراجع ، فمن كتب التفسير والقراءات : الكشاف للزمخشري وتفسير الفخر الرازي ، وتفسير ابن عطية ، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي والمحتسب لابن جني . ومن كتب النحو واللغة : كل كتب ابن هشام المطبوعة كالمغني وشرح شذور الذهب وأوضح المسالك وغيرها ، ولسان العرب لابن

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

منظور ومعاني القرآن للفراء والأخفش والزجاج ، وأمالي ابن الشجري وابن الحاجب والتبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء وغيرها . ومن كتب التاريخ : السلوك للمقريزي ، والنجوم الزاهرة ليوسف بن تغري ، والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها ، ومن كتب التراجم : الاستيعاب لابن عبد البر ، والإصابة لابن حجر ، وسير أعلام النبلاء والعبر للذهبي ، والدرر الكامنة لابن حجر وبغية الوعاة للسيوطي وغيرها .

هذا وقد حرصت في البحث على عزو الآيات إلى سورها وتخريج الأحاديث وعزوها إلى مضانها من كتب السنة ، كما حرصت على تخريج الأبيات الشعرية والترجمة لكل الأعلام الواردين في البحث ، مع التنبيه على أن ما ورد من أعلام في قسم الدراسة فقط ترجمت لهم هناك ، وما ورد في قسم التفسير فقط ترجمت لهم كذلك هناك ، أما ورد في القسمين فقد تعمدت أن أترجم لهم في القسم الثاني غالبا ، وكذلك الأمر بالنسبة للأحاديث والأبيات الشعرية ، إلا ما كان من باب الضرورة تخريجه في القسمين .

وحرصت في الفهارس وما ورد من ترتيب داخل البحث على استعمال الترتيب الألف بائي المغربي ، وهو : أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ك ، ل ، م ، ن ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، س ، ش ، هـــ ، و ، ي . علما أن هذا الترتيب قد استعمله علماء المغرب في مصفاتهم ، مثل الأئمة : ابن عبد البر في التمهيد، وابن منجويه في رجال صحيح مسلم ، والباجي في التعديل والتجريح .

هذا وقد تعمدت الاختصار في قسم الدراسة وذلك لكبر حجم قسم التفسير الذي يتحتم تدوينه كاملا . مع العلم أنني اعتمدت في جمع التفسير على كتب ابن هشام ورسائله المطبوعة فقط ، وهي : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، شرح شذور الذهب ، أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن ، قواعد الإعراب ، الألغاز النحوية ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ، شرح جمل الزجاجي ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، شرح اللمحة البدرية في علم العربية ، شرح قصيدة بانت سعاد ، كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل ، توجيه النصب ، الشروط التي ها يتحقق تنازع العوامل ، اعتراض الشرط على الشرط .

هذا وكل الشكر والتقدير **للأستاذ الفاضل المشرف الدكتور السعيد بوخالفة** ، الذي لم يبخل علي بتوجيهاته وإرشاداته وملحوظاته القيمة التي سهلت لي طريق الوصول لإنجاز هذا البحث ، وأضاءت لي الدرب لبلوغ نهايته ، وتحقيق أهدافه وغايته .

كما أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الكبير إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

بقبول مناقشة هذه المذكرة ، وصبرهم في قراءتها ، وتكرمهم بإبداء ملحوظاتهم القيمة التي من شأنها أن تزيد البحث تنقيحا وإثراء .

والشكر موصول كذلك إلى كلية العلوم الإسلامية بباتنة ممثلة في مديرها وموظفيها على تذليلهم الصعاب وخدمة البحث العلمي وتشجيع الطلبة على ذلك ، كما أود أن أشكر إدارة المكتبة وعمالها على توفير الجو المناسب للباحثين وتقديم يد المساعدة لهم كلما احتاجوا إلى ذلك .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتتنزل البركات ، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

القسم الأول : قسم الدراسة :

ويتضمن بابين :

– الباب الأول : ترجمة للإمام ابن هشام الأنصاري .

– الباب الثاني : منهج الإمـــام ابـــن هشـــام في التفسير .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الباب الأول : ترجمة للإمام ابن هشام الأنصاري .

وفيه ثلاثة فصول :

- الفصل الأول : البيئة التي عاش فيها ابن هشام .
- الفصل الثاني : حياة ابن هشام الشخصية .
- الفصل الثالث : حياة ابن هشام العلمية .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

الفصل الأول : البيئة التي عاش فيها ابن هشام .

ويتضمن ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : البيئة الطبيعية .
- المبحث الثاني : البيئة السياسية .
- المبحث الثالث : الحياة الفكرية والدينية .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

إن للبيئة بنوعيها – الطبيعية والسياسية – تأثيرا في شخصية العالم ، وخاصة المفسر ، فإن كانت البيئة خصبة مع العمل والاجتهاد آتت أكلها ضعفين ، وإن لم تكن كذلك أثرت سلبا على المنتِج والمنتَج ، فما مدى تأثير بيئة ابن هشام عليه وفي علمه ؟

المبحث الأول : البيئة الطبيعية .

المطلب الأول : مصر .

ولد ابن هشام ونشأ وترعرع وتعلم وتوفي بالقاهرة ، التي كانت مهدا للحضارة وقبلة للعلم والمعرفة ، فبيئة ابن هشام الطبيعية هي مصر ؛ إذ لم تذكر كتب التراجم بيئة أخرى عاش فيها ابن هشام غير هذه البيئة إلا ما كان من سفره إلى مكة .

المطلب الثاني : مكة المكرمة .

ذكر ابن هشام عن نفسه أنه سافر إلى مكة مرتين :

– المرة الأولى : عام تسعة وأربعين وسبعمائة (749هـ) .

قال ابن هشام في ذلك : « ... وقد كنت في تسعة وأربعين وسبعمائة أنشأت بمكة – زادها الله شرفا – كتابا في ذلك منورا من أرجاء قواعده كل حالك ، ثم إنني أصبت به وبغيره في منصرفي إلى مصر . »[1]

– المرة الثانية : عام ستة وخمسين وسبعمائة (756هـ) .

قال في ذلك : « ولما من الله تعالى عليَّ في عام ستة وخمسين بمعاودة حرم الله ، والمجاورة في خير بلاد الله ، شمرت عن ساعد الاجتهاد ثانيا ، واستأنفت العمل لا كسلا ولا متوانيا ، ووضعت هذا التصنيف[2] ، على أحسن إحكام وترصيف . »[3].

فبيئة ابن هشام الطبيعية – إذًا – هي مصر ومكة المكرمة ، والبيئة الطبيعية التي أثرت فيه هي البيئة المصرية ، أما بيئة مكة المكرمة فكانت عارضة أثرت في همته وفي إنتاجه تأثيرا غير مباشر[4] .

---

(1)–مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:ابن هشام الأنصاري.تحق:مازن المبارك ومحمد علي حمد الله.راجعه:سعيد الأفغاني. ط:1،دار الفكر،بيروت،1426هـ–2005م: 11.

(2)–وهو كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

(3)–مغني اللبيب: 11

(4)–الفعل في نحو ابن هشام:عصام نور الدين.ط:1،دار الكتب العلمية،بيروت،1428هـ–2007م: 13.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

المبحث الثاني : البيئة السياسية :

تمهيد :

مما لا مجال للشك فيه أن العلوم والفنون ظلان تابعان للأطوار السياسية قوة وضعفا ، فإذا كان الطور السياسي سيئا ذا أثر بارز في تاريخ شعب من الشعوب ؛ فإن آثاره تظهر في الحركة العلمية والنهضة الفكرية ، وإن كان هادئا مطمئنا بدت نتائجه في العلوم والآداب .

وقد بلغت اللغة العربية قمة مجدها في عهد الخلافة الإسلامية على يد الدولة العباسية ، إلى أن ضربت بلاد الإسلام في المشرق والمغرب بضربات قاصمة ، كانت ذات آثار سيئة على تراث المسلمين العلمي والأدبي ، "إذ ابتلي العراق بالاحتلال التتاري الذي أزال الخلافة العباسية جملة ، وابتليت الأندلس بالفرنجة ينقصون أطرافها ويقصون جوانحها ، وعاشت مصر آنذاك في عزة وقوة ومنعة واستقلال ورخاء"[1] تحت حكم المماليك ، وبما أن ابن هشام رحمه الله قد عاش في مصر في ذلك العصر ، وجب أن نعرف من هم المماليك ؟ ولمحة ولو سريعة عن الصورة السياسية لدولة المماليك ، ومَن مِن الملوك عاصر – رحمه الله – ؟

المطلب الأول : من هم المماليك ؟

« المماليك كما يتضح من مدلول اللفظ نفسه هم الرقيق الأبيض الذين اعتمد عليهم حكام الشرق الأدنى الإسلامي ، لا سيما في مصر والشام في صراعهم ضد بعضهم البعض في خضم الفوضى السياسية التي نشبت مطالبها في هذه الأنحاء ، عقب وفاة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي[2] ، وكان أولئك الحكام المتنازعون يشترون المماليك صغارا في سن الطفولة ، ينشئونهم تنشئة عسكرية وسياسية خاصة ؛ ليكونوا عدتهم في الصراع المرتقب ، وبدأ عنصر المماليك يتزايد في جيوش أولئك الحكام ، مما أدى إلى ازدياد دورهم في الحياة السياسية في مصر والشام منذ أخريات القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) .

---

(1)–النيل في عصر المماليك:محمود رزق سليم.(دط)،دار القلم،القاهرة،1965م: 7.

(2)–هو يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب،أبو المظفر،السلطان الملك الناصر،المعروف بصلاح الدين الأيوبي،ولد سنة (532هـ)،حكم مصر سنة (567هـ)،من أشهر ملوك الإسلام،رجل سياسة وحرب،واطلع على جانب حسن من الحديث والفقه والأدب.توفي سنة (589هـ).انظر ترجمته:النجوم الزاهرة: (3/3-58). الأعلام: (220/8).

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

ويعد السلطان الصالح نجم الدين أيوب [1] المسؤول عن ازدياد نفوذ المماليك على النحو الذي أدى إلى استيلائهم على الحكم عقب وفاته ، ذلك أن تجاربه مع الجنود المرتزقة من الخوارزمية والأكراد علمته أن الاعتماد عليهم أمر غير مأمون العاقبة ، ولهذا اشترى عددا كبيرا من المماليك الذين دربهم ليكونوا غالبية جيشه [2] ، وكان هؤلاء المماليك من عناصر مختلفة من الأتراك والمغول والصقالبة والإسبان والألمان والجراكسة ... وغيرهم [3] .

يتم شراؤهم وتعليمهم اللغة العربية والمبادئ الدينية وتدريبهم على فنون القتال والفروسية ، بحيث يحققون قدرا عاليا من الكفاءة الحربية ، وبحيث يضمن كذلك قدرا عاليا من الولاء الشخصي لسيدهم ، وبهذا يكونون قوة وسندا في الصراعات والمنافسات الداخلية بين أبناء الأسرة الأيوبية . وفي زمن كان للقوة العسكرية الدور الأكبر في حسم مصائر الحكام والمحكومين ، زادت أعداد المماليك في جيوش الحكام الأيوبيين من جهة ، كما زادت أهميتهم في الحياة السياسية الأيوبية ودوائر الحكم في مصر والشام من جهة أخرى [4].

المطلب الثاني : لمحة سريعة عن الصورة السياسية العامة لمصر في عصر المماليك .

« يطلق العصر المملوكي على الفترة الممتدة من سنة (648 - 923 هـ) أي من (1250 – 1517م) .

ومن بداية هذه الفترة التي امتدت زهاء ثلاثة قرون ، عاشت مصر والشام مستقلتين ، تخفق عليهما راية واحدة ، حملها المماليك الذين ولوا أمرهما بعد الأيوبيين ، واتخذوا القاهرة قاعدة لملكهم ، وانقسموا خلال هذه الحقبة إلى دولتين هما : "الدولة البحرية " و " الدولة البرجية أو الجركسية".» [5]

1– **الدولة البحرية** : وامتدت من (648 – 784هـ) الموافق لـ (1250 – 1382م) .

---

(1)–هو أيوب بن شاذي بن مروان،أبو الشكر،الملك الأفضل نجم الدين،والد صلاح الدين الأيوبي،كان خيرا جوادا عاقلا فيه دهاء.توفي سنة(568هـ).انظر ترجمته:وفيات الأعيان:تحق:إحسان عباس.ط:1،دار صادر،بيروت،(دت): (255/1). الأعلام:الزركلي.ط:1،دار العلم للملايين، 2002م: (38/2).

(2)–السلوك لمعرفة دول الملوك:أحمد المقريزي.تحق:محمد عبد القادر عطا.ط:1،دار الكتب العلمية،بيروت،1418هـ–1997م: (441/1).

(3)–عصر سلاطين المماليك:قاسم عبده قاسم.ط:1،دار الشروق،القاهرة،1415هـ–1994م: 7.

(4)–عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي:قاسم عبده قاسم.ط:1،عين،الهرم،مصر،1998م: 25.

(5)–ابن هشام النحوي:سامي عوض.ط:1،دار طلاس،دمشق،1987م: 20 – 21 .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أطلقت كلمة البحرية على طائفة من المماليك قبل تأسيس دولتهم ، سماهم بذلك الملك الصالح نجم الدين أيوب لسكناهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل[1] .

ومؤسس هذه الدولة عز الدين آيبك بن عبد الله الصالحي النجمي ، المعروف بالتركماني[2] الذي وطد نفوذه بعد أن انتصر على الأيوبيين ، وتم الصلح بينه وبين الناصر الأيوبي سنة (651هـ)[3] ، وعزز سيطرته ، وتخلص من جميع منافسيه من المماليك البحرية ، إلى أن توفي على يد زوجته شجرة الدر[4] عام (655هـ) [5] .

وجاء بعده ابنه نور الدين علي بن المعز آيبك[6] الذي تلقب بالمنصور ، وكان حدثا لم يتجاوز الخمسة عشر عاما ، فدبر أمره نائب أبيه سيف الدين قطز[7] ، ثم خلفه يوم السبت رابع عشري ذي القعدة سنة (657 هـ)[8] ، وتولى السلطة بعد أن شعر بالخطر المحدق الذي يهدد مصر والعالم الإسلامي ، بعد أن وصل التتار بزعامة هولاكو[9] إلى الشام ، وذلك بعد أن أسقطوا الخلافة العباسية في بغداد سنة (656هـ) حيث أعملوا فيها قتلا وحرقا ونهبا وتخريبا ، فقتلوا ما ينيف على ثمانمائة ألف من أهلها في مذبحة رهيبة يندى لها جبين الإنسانية ، وأضرموا النار في مدينة بغداد ، فأتت على الكثير من تراث الحضارة العربية الإسلامية ، وقضوا على ما كان الخلفاء

---

(1)-السلوك: (441/1) .

(2)-انظر ترجمته:النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:يوسف بن تغزي الأتابكي.تقديم وتعليق:محمد حسين.ط:1،دار الكتب العلمية، بيروت،1413هـ-1992م: (3/7). شذرات الذهب في أخبار من ذهب:ابن العماد الحنبلي. تحق:محمود الأرناؤوط. ط:1،دار ابن كثير،دمشق،بيروت، 1406هـ-1986م: (462/7).

(3)-السلوك: (479/1) .

(4)-هي عصمة الدين أم خليل،تركية الجنسية،وقيل أرمينية،أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك،وتنازلت عن الملك لعز الدين آيبك بعد ما تزوجها.توفيت سنة (655هـ)،وكانت مدة دولتها ثمانين يوما.انظر:السلوك: (459/1). العبر في خبر من غبر:الذهبي.تحق:محمد السعيد زغلول.ط:1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،1405هـ-1985م: (187/4). (276/3).

(5)-السلوك: (493/1) .

(6)-انظر ترجمته:السلوك: (495/1). النجوم الزاهرة: (37/7). الأعلام: (265/4).

(7)-انظر ترجمته:السلوك: (507/1-510). النجوم الزاهرة: (67/7-82). الأعلام: (201/5).

(8)-السلوك: (507/1) .

(9)-هو هولاكو بن قولي قان بن جنكزخان المغلي،مقدم التتار وقائدهم إلى النار،استولى على الأهم من بلاد المسلمين،كان ذا دهاء وشجاعة وخبرة بالحروب،مات سنة (664هـ).انظر ترجمته:العبر: (311/3). شذرات الذهب: (550/7).

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

العباسيون قد جمعوه خلال خمسة قرون ، ولقي الخليفة المستعصم بالله [1] مصرعه في سادس صفر من سنة (656 هـ)[2] .

و لم يكتف التتار بهذا إنما توجهوا بأنظارهم شطر بلاد الشام وبعد غزوهم الفعلي لها عام (657هـ) ، واستولى هولاكو على كثير من المدن ، إلى أن وصل دمشق واستولى عليها[3] ، ثم أرسل رسله إلى مصر بكتاب يتوعد فيه وينذر بالويل والثبور وعظائم الأمور ، مما جاء فيه : ((من ملك الملوك شرقا وغربا القان الأعظم ، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء ، يعلم الملك المظفر قطز ، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم ، يتنعمون بأنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك يعلم الملك المظفر قطز ، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله في أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه . فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ ، فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكا ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم البلاد ، فعليكم بالهرب ، وعلينا بالطلب ، فأي أرض تأويكم ، وأي طريق تنجيكم ، وأي بلاد تحميكم ؟ فما من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص ، فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال ، فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ومطركم علينا لا يسمع ، فإنكم أكلتم الحرام ، ولا تعفون عند الكلام ، وخنتم العهود والأيمان ، وفشا فيكم العقوق والعصيان ... فمن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم ... فقد أنصفنا إذ راسلناكم ، وأيقظناكم إذ حذرناكم ، فما بقي لنا مقصد سواكم ...))[4]

فجمع السلطان قطز الأمراء ، واتفقوا على قتل الرسل ، وعلقوا رؤوسهم على باب زويلة ، ونودي في القاهرة وسائر إقليم مصر بالخروج إلى الجهاد في سبيل الله ، ونصرة دين رسول الله ﷺ

(1)-هو عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر العباسي،أبو أحمد،المستعصم بالله،آخر الخلفاء العراقيين،ولد سنة (609هـ)،كان حليما،كريما،سليم الباطن،قليل الرأي،حسن الديانة،مبغضا للبدعة،ختم له بخير؛فإن الكافر هولاكو أمر به وبولده فرفسا حتى ماتا وذلك سنة(656هـ).انظر ترجمته:شذرات الذهب: (7/467-468).

(2)-السلوك: (1/499).

(3)-ابن هشام النحوي: 24.

(4)-السلوك: (1/514).

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وتكلم إلى الأمراء بالصالحية وطلب منهم الرحيل معه ، فأبوا كلهم عليه ، وامتنعوا من الرحيل ، فقال لهم : « يا أمراء المسلمين ! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للغزاة كارهون ، وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبني ، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته ، فإن الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين ، فتكلم الأمراء الذين تخيرهم ، وحلفهم في موافقته على المسير ، فلم يسع البقية إلا الموافقة ، وانفض الجميع [1] .

سار قطز على رأس جيش المسلمين ، واتجه شرقا عبر الجليل إلى الأردن عن طريق الناصرة لاسترداد دمشق من التتار ، فالتقى بهم عند قرية عين جالوت [2] يوم الجمعة خامس عشري شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة (658هـ) ، ونشبت بين الطرفين معركة طاحنة ، أبدى فيها المماليك بزعامة قطز وقيادة بيبرس البندقداري[3] ضروبا من البأس والشجاعة والبطولة ، سجلها التاريخ لهم بأحرف من ذهب ، حيث منح الله ظهور جيش التتار للمسلمين ، يقتلون ويأسرون إلى أن تم القضاء عليهم ، وقتل "كتبغا"[4] قائد التتار في تلك المعركة ، وطارد جيشُ قطز التتار ، حيث تم الاستيلاء على كثير من أسلابهم[5].

وأهم النتائج التي ترتبت على انتصار المماليك : إعادة رباط الوحدة بين مصر والشام بعد أن تمزق نتيجة للتنافس بين المماليك في مصر والأيوبيين في الشام ، واكتسب حكم المماليك حظا لا يستهان به من القبول والشرعية ، بعد أن كان ينظر إليهم أنهم مغتصبون للعرش ، إضافة إلى أصلهم الذي تشوبه الشوائب ، وتغيرت نظرة الناس إليهم ... وبهذا يمكن القول إن معركة عين جالوت كانت إيذانا بأفول نجم دولة بني أيوب ، وبزوغ شمس دولة المماليك [6].

عاد قطز من القتال مظفرا ، فدبر له الأمير بيبرس البندقداري مع عدد من أنصاره وأتباعه مؤامرة لاغتياله ، وكان بيبرس ممن أبلوا في عين جالوت بلاء حسنا ، وقد تم لبيبرس ما أراد ، فقتل "قطز"

---

(1)-المصدر السابق: (515/1).

(2)-عين جالوت:بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين.انظر:معجم البلدان:ياقوت الحموي.(دط)،دار صادر، بيروت،1397هـ-1977م: (177/4).

(3)-انظر ترجمته:السلوك: (520/1). النجوم الزاهرة: (86/7-676).

(4)-هو كتبغا المغلي نوين،كان عظيما عند التتار،معتمدا عليه لشجاعته ودهائه وخبرته بالحروب،وكان هولاكو يتيمن برأيه ويحترمه.توفي سنة (658هـ).انظر ترجمته:العبر: (291/3).

(5)-السلوك: (516/1-518).

(6)-ابن هشام النحوي: 27.

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com